(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢) لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا} [النساء:١٢٢-١٢٦]

الشيخ: إلى هنا.

في هذه الآياتِ يذكرُ اللهُ ما أعدَّ للمؤمنين الَّذين يعملونَ الصالحاتِ من الكرامةِ، بعدَ أنْ ذكرَ ما أعدَّ لأولياءِ الشيطانِ {أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا} [النساء:١٢١]، قالَ بعدَ ذلك: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} وفي هذا أعظمُ..، ففي هذه الآياتِ ترغيبٌ وترهيبٌ، ترغيبٌ في الإيمانِ والعملِ الصالحِ بذكرِ ما أعدَّ اللهُ لأوليائِهِ، وترهيبٌ بذكرِ ما أعدَّ لأعدائِهِ.

ثمَّ قالَ تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ} يتمنَّى بعضُ الناسِ أن يكونَ من أهلِ الجزاءِ الحسنِ وألَّا يُعاقَبَ على سيِّئاتِهِ، هذه أمانيٌّ، كما قالَ الله عن الشيطانِ: {وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ} [النساء:١١٩]، {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} [النحل:٦٢]، لكن الأمر المحقَّق الَّذي يجبُ الوقوفُ عندَه والإيمانُ به أنَّ كلًّا سيُجزَى {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} ومَن يُجزَ..، ومَن يعملْ خيرًا يُجزَ بهِ {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} إلَّا أن يتجاوزَ اللهُ عمَّن شاءَ فهو الغفورُ لكن هذا هو الأصلُ {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}، {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:٧-٨]، يرى جزاءَهُ.

وجاءَ في تفسيرِ هذه الآيةِ أنَّ أبا بكرٍ -رضيَ اللهُ عنه- يعني لما سمعَ هذه الآيةَ شقَّ عليه وقالَ: أيُّنا لم يعملْ سوءًا، فقالَ لهُ النبيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: (أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ تصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟) قَالَ: بَلَى، قَالَ: (فَذَلِكَ مِمَّا تُجْزَوْنَ بِهِ) هذه بشارةٌ للمؤمنِ، هذه للمؤمنِ (عجبًا لأمرِ المؤمنِ لا يقضي اللهُ لهُ قضاءً إلَّا كانَ خيرًا لهُ إنْ أصابَتْهُ سرَّاءُ شكرَ فكانَ خيرًا لهُ، وإنْ أصابَتْهُ ضرَّاءُ صبرَ فكانَ خيرًا لهُ) في الحديثِ الصحيحِ الذي هو شاهدٌ لهذه الآية (لا يصيبُ المؤمنَ همٌّ ولا غمٌّ ولا نصبٌ ولا وصبٌ ولا

حزنٌ حتَّى الشَّوكةُ يُشاكُها إلَّا كفَّرَ اللهُ بها عنهُ) أو كما قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ، فهذا يوجبُ للمسلم ألَّا يتحسَّرَ وييأسَ ويشقَّ عليهِ ما قد يصيبُه، بل عليه يحتسبُ في كلِّ ما يصيبه من دقيقٍ وجليلٍ (لا يصيبُ المؤمنَ همٌّ ولا غمٌّ ولا نصبٌ) كلُّ هذه الأحوالِ النفسيةِ والأمراضِ الجسديةِ العضويةِ كلِّها، قالَ: (فَذَلِكَ مِمَّا تُجْزَوْنَ بِهِ) الحمدُ للهِ.

{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ}، {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} فدخولُ الجنَّة مشروطٌ بثلاثة شروطٍ: الإيمانُ الَّذي أصلُه التوحيدُ، والعملُ الصالحُ وله شرطان: الإخلاصُ وموافقةُ الأمرِ، ولهذا قالَ: {وَهُوَ مُؤْمِنٌ}، {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ} بشرطيها يعني الأعمالُ الصالحةُ بالإخلاصِ قالَ: {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} وهذا يؤكِّدُ في آياتٍ كما في الآيةِ الأخرى {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [الإسراء:١٩]، {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل:٩٧]